نظير فيها. وله من الحظِّ والشهرة والصيت في أهل عصره فمن بعدهم ما لا يلحق به غيره، ومصنفاته قد طارت في حياته إلى جميع البلدان، وتنافس الناس في تحصيلها. ومع هذا فلم يذكره ابن حَجَر (في الدُّرر الكامنة في أهل المائة الثامنة) مع أنه يتعرّض لذكره في بعض تراجم شيوخه أو تلامذته، وتارةً يذكر شيئاً من مصنفاته عند ترجمة من درس فيها أو طلبها. فإهمال ترجمته من العجائب المفصحة عن نقص البشر. وكان صاحب الترجمة قد اتصل بالسلطان الكبير الطاغية الشهير تَيْمُورلَنْك المتقدم ذكره، وجرت بينه وبين السيد الشريف الجَرْجَاني المتقدم ذكره مناظرة في مجلس السلطان المذكور في مسألة كون إرادة الانتقام سبباً للغضب أو الغضب سبباً لإرادة الانتقام، فصاحب الترجمة يقول بالأول، والشريف يقول بالثاني، قال الشيخ منصور الكازروني: والحق في جانب الشريف. وجرت بينهما أيضاً المناظرة المشهورة في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ ويقال بأنه حكم بأنّ الحق في ذلك مع الشريف، فاغتم صاحب الترجمة، ومات كمداً، واللَّه أعلم.

(٥٥١)

(مُصْطَفى بن يُوسُف بن صَالح البُروسَويّ الرُّوميّ الحَنَفيّ المشهور بخواجة زادة)[1]

عالم الروم المشهور بالتحقيق وجودة التصور والذكاء المفرط وإفحام من يناظره. كان والده من التجار، وله ثروة عظيمة، فولد له صاحب الترجمة، واشتغل بالعلم فسخط لذلك أبوه وأبعده عنه حتى صار لا يملك إلَّا قميصاً واحداً وهو لا يزداد في العلم إلَّا شغفاً. ورآه بعض مشايخ الصوفية فقال له بأنه يكون له شأن عظيم، وأن إخوانه الذين صار والده يعظمهم ويهينه سيقومون عنده مقام الخدم والعبيد. وأخذ عن أكابر علماء الروم كالعالم المشهور بخضر بك وطبقته، وبرع في العربية والأصلين والمعاني والبيان، وأمره السلطان مراد أن يُدرِّس بمدرسة بُروسا، وعيّن له كل يوم عشرة دراهم، فمكث كذلك ستَّ سنين مشتغلاً بالعلم مع فقر وحاجة، وحفظ هنالك شرح المواقف. ولما تولّى السلطنة السلطان مُحمَّد خان بن مُراد خان المتقدم ذكره وأظهر الرغبة إلى العلم وأهله قصد العلماء حضرته، وكان صاحب الترجمة يريد ذلك، ولكن لم يَسْتَطعْ أن يجهز إليه لشدة فقره. وكان له خادم من أبناء الترك فأقرضه ثمانمائة درهم فاشترى بها فرساً لنفسه، وفرساً لخادمه وذهب إلى السلطان فلقيه وهو

(١) ترجمته في: شذرات الذهب: ٧/ ٣٥٤؛ كشف الظنون: ٤٩٧، ١١٣٩؛ هدية العارفين: ٢/ ٤٣٣؛ معجم المؤلفين: ١٢/ ٢٩١؛ الأعلام: ٧/ ٢٤٧.

ذاهب من قسطنطينية إلى أدرنة فلما رآه الوزير محمود باشا قال: أصبت بمجيئك، وقد ذكرتك عند السلطان فاذهب إليه، فذهب إليه وسلّم عليه فقال السلطان للوزير محمود باشا: من هذا؟ قال: خواجة زادة. فرحّب السلطان به وكان عن يمين السلطان وعن يساره أعيان علماء حضرته، فجرى بينهم البحث بحضرة السلطان، فتكلم صاحب الترجمة وأفحم جماعة من العلماء الحاضرين، ومال السلطان إليه حتى أنه بقي لديه بعد خروج العلماء من عنده ومشى معه. ثم إن السلطان وصل العلماء الذين بحثوا بحضرته بصلات، ولم يعط صاحب الترجمة مثلهم، فحصل معه همٌّ وحزن، حتى أن خادمه صار لا يخدمه ويواجهه بقوله: لو كان لك علم لأكرمك السلطان كما أكرمهم. وفي بعض المنازل نام الخادم فتولَّى صاحب الترجمة خدمة فرسه بنفسه، ثم جلس حزيناً في ظلِّ شجرة فإذا ثلاثة نفر قد أقبلوا إليه من حجَّاب السلطان يسألون عن خيمة خواجة زادة، ويظنون أن له خيمة كسائر الأكابر فأشار بعض الناس إليه فأنكروا ذلك، ثم جاؤوا إليه فقالوا له: أنت خواجة زادة، فقال: نعم، فقبَّلوا يده، وقالوا: إن السلطان جعلك معلماً لِنفسه. قال: فظننتُ أنهم يسخرون بي، ثم ضربوا هنالك خيمة، وقدّموا إليه فرساً وعبيداً وملبوساً فاخراً، وعشرة آلاف درهم، وقدّموا إليه فرساً منها، وقالوا: قم إلى السلطان والخادم المذكور نايم، فذهب إليه صاحب الترجمة، ونبهه من النوم، فقال الخادم: خلني أنام. فقال له: قم انظر إلى حالي، قال: إني أعرف حالك، دعني، فأبرم عليه فقام فنظر إليه فقال: أي حال هذا؟ قال: إني صرتُ معلماً للسلطان، فقبل الخادم يده وتضرّع إليه واعتذر، فقبل منه وذهب إلى السلطان، فشرع السلطان يقرأ عليه في التصريف. وكتب هو شرحاً عليه، وتقرب منه غاية التقرُّب. فحسده الوزير وقال للسلطان: إن صاحب الترجمة يريد قضاء العسكر، فقال السلطان لأي شيء يتركُ صحبتي؟ فقال: هو يريد ذلك. وقال لخواجه زادة أمر السلطان أن تتولى قضاء العسكر، فقال: أنا لا أريد ذلك. قال: هكذا جرى الأمر. فامتثل وصار قاضياً بالعسكر. وكان ذلك بمنزلة قضاء الأقضية. فعند ذلك بلغ والده أن ولده قد صار قاضياً للعسكر فلم يصدق. فلما تواتر إليه الخبر قدم من بروسا إلى أدرنة لزيارة ولده، فلما قَرُبَ من بلدة أدرنه تلقاه ولده وتبعه علماء البلد وأشرافه. فلما نظر والده إلى ذلك الجمع العظيم قال: من هؤلاء؟ قالوا ابنك. فنزل صاحب الترجمة من فرسه وسلَّم على أبيه وإخوته، وأدخلهم على السلطان، وعمل ضيافة كبيرة اجتمع فيها أعيان المملكة. وجلس في صدر المجلس، وجلس الأكابر على قدر مراتبهم وضاق المجلس بمن فيه. فقام إخوانه مقام الخدم، فكان ذلك ما تقدمت الإشارة إليه من ذلك الصوفي. ثم درَّس بمدارس عدة، وقد اشتهر في بلاد الروم

وطار صيته وكثر تلامذته، وصنّف مصنفاتٍ منها (شرح الريحانة) المتقدم ذكره، ومنها حاشية على التلويح، وحاشية على المواقف ولم تكمل، و(كتاب التهافت)، وحاشية على شرح هداية الحكمة، وشرح الطوالع. (ومات) في سنة ٨٩٣ ثلاثٍ وتسعين وثمانمائة، ولم يذكره السخاوي في الضوء اللامع.

(٥٥٢)

(مُصْطَفَى القَسْطَلاني ثم الرُّومي)

أخذ عن علماء الروم، ثم لما برع في العلوم صار مدرِّساً بإحدى المدارس الثماني، ثم جعله السلطان مُحمَّد بن مراد قاضياً للعسكر، ثم لما مات السلطان مُحمَّد وولي السلطنة ابنه السلطان بايزيد عزل صاحب الترجمة عن القضاء، وجعل له كل يوم مائة درهم. وكان متبحراً في جميع العلوم، وله حاشية على شرح العقائد، ورسالة ذكر فيها إشكالات على المواقف وشرحه، وحاشية على المقدمات الأربع. (وتوفي) سنة ٩٠١ إحدى وتسعمائة.

(٥٥٣)

(السيد المُطهّر ابن الإمام شرف الدين بن شَمْس الدين ابن الإمام المهدي أحمد بن يَحْيَى)[1]

الأمير الكبير ملك اليمن وابن أئمتها المشهور بالشجاعة والحزم والإقدام والمهابة والسياسة والكياسة والرياسة، كان من أعظم الأمراء مع والده الإمام، وكان قد حلَّت هيبته بقلوب أهل اليمن قاطبةً وقلوب من يرد إليها من الأتراك والجراكسة، فسعى بعض أعداء الإمام بينه وبين ولده هذا الهمام بما أوجب تكدّر خاطر كل واحد منهما على الآخر. وتزايدت الوحشة حتى ألقي إلى المطهر أن والده الإمام يريد القبض عليه بعد صلاة الجمعة في قربة القابل، وكان بلوغ ذلك إليه وهو في المسجد مع والده منتظراً للصلاة. فأرسل إلى جماعة من أعيان أصحابه، فما كملت الصلاة إلّا وقد حضروا فخرج عقب الصلاة إلى الجبل ودار بينه وبين أخيه شمس الدين كلام طويل فلم يتم أمر، فكان آخر الأمر أنه ذهب المطهر إلى حصن ثلا مغاضباً، ورجع الإمام إلى الجراف، ثم آل الأمر إلى أن وقع بين صاحب الترجمة وبين أخيه شمس الدين مصاف، وتفاقم الأمر حتى غزا بطائفة من أصحابه إلى الجراف للقبض على والده فدفع اللَّه عنه. وكان آخر الأمر أن الإمام أعطى ولده صاحب الترجمة جميع ما

(١) ترجمته في: الأعلام: ٧/ ١٤١.